

تيسير اللغة العربية وتهذيبها

للمؤلف: الأستاذ محمد علي الدسوقي

المقدمة

إصلاح اللغة العربية وضبطها لا يعدو ان مرحلتين عظيمتين ، قام أسلافنا بالمرحلة الأولى منهما وكفونا مئونة البحث فيها ، وكانوا عليها حفاظا وعلى تنسيق اللغة فيها حراصا . وأعنى بها أدوار تهذيب اللغة وتنقيحها . وأعنى بالثانية ما نعانیه الآن من كثرة اللحن والتحريف ، وشحذ الهمم ، وتضافر القوى ، وحفز القرائح لتلاقيهما . وما نراه من حشد وزارة المعارف جميع قواها للقضاء على الأمية ، وتيسير تعلم اللغة العربية ، وضبطها بكافة الوسائل الممكنة وما يبتكره أبناء دار العلوم ، وما يستوفزون منه من هممهم وأفكارهم للوصول إلى هذه الغاية من أقرب طريق .

المرحلة الأولى

قد عني الأقدمون بتهذيب اللغة وتنقيحها ، وقد تم ذلك في أربعة أدوار .
(١) فأول تنقيح دخل اللغة العربية كان بعمل يعرب بن قحطان ، رأس العرب العاربة ؛ وجرى أولاده على لغته في أنحاء اليمن كلها ، ثم تفرق جماعة منهم في نجد والحجاز وتهامة والشام والحيرة .

(٢) الثاني كان من عمل إسماعيل ابن إبراهيم عليهما السلام ، فإنه لما أصهر^(١)

(١) أصهر أى تزوج .

إلى قبيلة جرهم ، أدخل تنقيحاً ثانياً في اللغة ، وجرى على أثره القبائل من أولاده كربيعة ، ومضر وكنانة ونزار ، وخزاعة وقيس وضبة .

(٣) والتنقيح الثالث أدخلته قريش بالتدريج ، انتخاباً من لغات قبائل العرب التي كانت تفقد عليهم في كل عام ، وتمكث بين ظهرانيتهم نحو خمسين يوماً ؛ منها ثلاثة أيام بسوق ذي المجاز ، وسبعة بسوق مجنة ، وثلاثة بسوق عكاظ ، وعشرة في مناسك الحج .

(٤) والتنقيح الرابع هو اختيار علماء المصريين البصرة والكوفة نقلة اللغة في عصر الأمويين والعباسيين ، وقد قصرُوا اختيارهم على القبائل الست الآتية :-

قال السيوطي في المزهرة نقلاً عن أبي نصر الفارابي : كانت قريش أجود العرب انتقاداً للأفصح من الألفاظ ، وأسهلها على اللسان عند النطق ، وأحسنها مسموعاً ، وأبينها إيابة عما في النفس ، والذين نقلت عنهم اللغة العربية وبهم اقتدى ، وعندهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم : (١) قيس ، (٢) وتميم ، (٣) وأسد ، فإن هؤلاء هم الذين أخذ عنهم أكثر ما أخذوا معظمه ، وعليهم اتكل في الغريب ، وفي الإعراب والتصريف ، (٤) ثم هذيل ، (٥) وبعض كنانة ، (٦) وبعض الطائيين ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم ؛ وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضري قط ، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم ، فإنه لم يؤخذ لآمن لحم ، ولا من جذام لمجاورتهم أهل مصر والقيط ، ولا من قضاة وغسان ، وإياد لمجاورتهم أهل الشام ، وأكثرهم نصارى يقرءون بالعبرانية ، ولا من تغلب فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان ، ولا من بكر لمجاورتهم للقيط والفرس ، ولا من عبد القيس وأزد عمان ، لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس ، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم الهند والحبشة ،

ولا من بنى حنيقة وسكان اليمامة ، ولا من ثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم
تجار اليل المقيمين عندهم ، ولا من حاضرة (١) الحجاز ، لأن الذين نقلوا اللغة
ضادفوقهم حين ابتدؤوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت
ألسنتهم ، والذي نقل اللغة واللسان العربي عن هؤلاء وأثبتها في كتاب فصيرها
علما وصناعة — هم أهل البصرة والكوفة فقط من بين أمصار العرب .

المرحلة الثانية كثرة اللحن والتحريف وإصلاحهما .
لم يكن اللحن والتحريف وليدى القرون المتأخرة ، فقد بقي التغيير في
اللغة العربية مقصورا على الأمصار الإسلامية إلى انتهاء القرن الثالث الهجري ؛
وقد عرف بعضهم المولد بأنه ما يكون من هذا الضرب لحناً وتحريفاً ، وكانوا
يسمون الألفاظ التي من هذا القبيل بالسوقية ، لأنها لغة أهل الأسواق
والتجار الذين يأتون من كل فج ؛ وآخر من يعتد بكلامه من الشعراء بشار
ابن برد ، وهو بصرى قدم بغداد وأصله ، من طخارستان من سبي المهلب بن
أبي صفرة ، وكان أكمه (ولد أعمى) وكان يمدح المهدي ، وتوفي سنة ١٦٧ هـ
وقد نيف على التسعين .

وقد عني العلماء قديماً وحديثاً برد العوام عن تحريف الكلم ، وألفوا في
ذلك كتباً شتى . ككتاب أبي عبيدة ، وأبي حنيفة الدينوري ، وأبي عثمان
المازني ، وأبي حاتم السجستاني ، وكتاب الفاخر المفضل ، ولحن العامة للقراء ،
وهؤلاء لم يتعدوا المائة الثالثة ، ولم يعدوا في صنيعهم ألفاظا حرفت بها العامة ،
ثم تعدوا ذلك إلى التأليف في لحن الخاصة بعد القرن الثالث ، ككتاب
أبي هلال العسكري المتوفى سنة ٣٩٥ هـ ودرة الغواص في أوهام الخواص .
للحري ، لأن اللحن إذ ذاك كان يؤخذ به خواص الكتاب لاعوامهم .
لأن أولئك العوام صار اللحن لغتهم .

وقد ألفت في إصلاح العامي والدخيل كتابي المسمى (تهذيب الألفاظ العامية) وهو جزءان الأول ٣٢٤ صفحة ، والثاني ٣٧٨ صفحة . وقد أخذت بجمع فؤاد الأول على عاتقه مهمة إصلاح العامي والدخيل ، وترجمة الاصطلاحات العلمية ، وبقي أكثر من خمس سنوات يواصل البحث والتنقيب ، وقد صدر من مجلة هذا المجمع أربعة أعداد حافلة بما قام به أعضاؤه من مجهود ، وقد عنيت وزارة المعارف من ناحيتها بإصلاح مناهج اللغة العربية وتيسير تعليمها على أقوم طريق ، وقد جعلت رائدها الاكتفاء من القواعد بما تدعو إليه الضرورة ، وعدم شحن أذهان الطلبة بالكثير الصعب من القواعد الذي يصرفهم عن الرغبة فيها ، وعنيت بتأليف الكتب الشائعة السهلة الأسلوب ، المتينة التراكيب ، التي تمثل السهل الممتنع ، ولا تزال جادة في هذه السبيل بخطى موفقة ، مؤدية للأمانة التي أوثمت عليها ، والتي وضعتها الأمة في عنقها .

المبحث الأول

في سهولة تعلم اللغة العربية وضبطها على أبناء العرب الأول .
كانت اللغة العربية في زمن الجاهلية والصدر الأول من الإسلام غضة الشباب ، سليمة الإهاب ، لا يعتورها لحن ولا تحريف ، وقد بقيت في ريعان شبابه إلى آخر عهد الخلفاء الراشدين ، لأن الأبناء كانوا يتلقونها عن الآباء ، ولم يكن ثمة بينهم دخيل تفسد لغتهم أو يشوبها بلحن أو تحريف ، وقد ظهر قليل من اللحن في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقد ورد أنه من يقوم يرمون فاستقبح رميهم فقال ، ما أسوأ رميكم ، فقالوا : نحن قوم (متعلمين) فقال عمر : لحنكم أشد على من فساد رميكم .
وهذا إنما حصل من الموالى والمتعربين ، لصعوبة تمييزهم أحوال المثني والجمع في الرفع والنصب والجر ، كما يصعب ذلك على المتعلمين ^(١) منا الآن ،

(١) المشتغلين بالتعلم

وقد ورد أن كاتباً لأبي موسى الأشعري، كتب إلى عمر: (من أبو موسى الأشعري)، فكتب عمر إلى أبي موسى: عزمت عليك لما ضربت كاتبك سوطاً .

ويظن أن هذا أول لحن وقع في الكتابة . ولما رأى الإمام على كثرة اللحن، خشى على كتاب الله أن يمسح التحريف، فوضع القواعد الأساسية لعلم النحو، وعلمها أبا الأسود الدؤلي، وقال له « انح هذا النحو » فسمى هذا العلم علم النحو، ثم كتب في هذه الصناعة الناس من بعده . إلى أن انتهت إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي أيام الرشيد أحوج ما كان الناس إليها، لذهاب ملكة الإعراب من العرب، فحزب الصناعة وكمل أبوابها، وأخذها عنه سيبويه فأكمل تفاريعها، واستكثر من أدلتها وشواهداها .

المبحث الثاني

في سبب اختلاف لغة الكتابة عن لغة التخاطب عند الأمم

المتعربة، وعدم اختلافها عند الأوربيين

من الحقائق المقررة، أن الأمم الأوربية يتخاطبون ويكتبون بلغة واحدة، إلا في النادر، أما الأمم المتعربة، فلغة الكتابة عندهم — وهي الفصحى — تخالف لغة التخاطب — وهي العامية . وهذه سبب لتلك الأمم لا خلاص لهم منها، ولا معدى لهم عنها إلا ببذل الجهود الجبارة، وتضافر القوى على توحيد اللغة، وقد استشرى هذا الداء، وتغلغل في الأمم العربية حتى امتزج بلحمها ودمها، وظن المتشائمون أن من يحاول انتشار هذه الأمم من هذا الداء الوبيل، كمن يحاول التعلق بخيوط الشمس، أو كمن ينقش في الهواء، أو يكتب على صفحات الماء، وقالوا: أنى للغة إصلاح وقد صوح^(١) نبتها، وأفل نجمها؟ وفي الحق، أن الأمة العربية الصحيحة براء من هذه الوصمة، فقد بقيت

تتكلم وتكتب بلغة عربية صحيحة ، إلى قبيل انتهاء القرن الثاني الهجري ، ثم فشا اللحن والتجريف ، ودب الفساد في اللغة بين المتعربين ، حتى اتسعت شقة الخلاف بين الفصحى لغة الكتابة ، والعامية لغة التخاطب ، وما زالت تنفرج مسافة الخلاف بينهما إلى هذا العهد . في الأقطار التي افتتحتها الدولة العربية ، مثل مراکش والجزائر وتونس ، وبرقة ومصر والشام والعراق ، حتى عم الفساد البلاد العربية نفسها ، وهي الحجاز واليمن ، ماعدا بعض القبائل في نجد والعسير من أعمال اليمن ، فإنها بقيت محافظة على لغتها إلى اليوم ، تتكلم وتكتب بلغة عربية صحيحة ، ماعدا بعض هفوات قليلة ، وقد رأيناهم باعيننا وسمعناهم بأذاننا ، وقرأنا أشعار الأئمة منهم ، فإذا هي لا تختلف عن أشعار المتعلمين في الصحة والضبط .

وقد رأينا مسافة الخلاف تضيق الآن بين العامية والفصحى ، ولا سيما في مصر والشام والعراق . بفضل نشر الثقافة والتعليم في ربوع تلك البلاد ، فإذا أخذت بقسط وافر من العلم والأدب ، ونبغ فيها الكتاب المجيدون الذين يشار إليهم بالبنان ، مثل المويلحي والمنفلوطي وحفي ناصف والسيد توفيق البكري ومصطفى الرافعي وطه حسين وحسين هيكل والمازني ، وغيرهم ممن تصبغوا بالأدب ، وحازوا في مضماره قصب السبق ، وظهر فيها الشعراء المبرزون في حلبة الشعر ، كأمر الشعراء أحمد شوقي ، وحافظ إبراهيم ، وخليل مطران ، ومعروف الرصافي ، والبارودي ، وإسماعيل صبري ، والجارم ، والعقاد ، ومصطفى الرافعي ، وأحمد رامى ، وغيرهم من فحول الشعراء الذين ذاع صيتهم في الآفاق ، وتغنّت بشعرهم بلابل الروض في كل مكان .

ولا يزال التعليم في مصر من إلزامي وابتدائي وثانوي وجامعي يهدم من صرخ العامية ويشيد من صروح العروبة الفصحى ، ولا يمضى ربح من الزمن حتى نرى بناء العامية قد انهار ، وقامت على أنقاضه العربية المهدبة شياخة

البنيان ، متينة الأركان ، حتى تعود إلى سالف مجدها ، وتليد عزها ، كما كانت في عهد الدولة الأموية ، وصدر الدولة العباسية ، زمن المهدي والرشيد والمأمون والمعتصم ، حقق الله الآمال ، إنه هو الكبير المتعال .

المبحث الثالث

(في أسباب صعوبة ضبط اللغة العربية على المتعربين)

(وسهولة ضبط اللغات الأوربية على المتعلمين)

قد امتازت اللغة العربية على سائر اللغات بالدقة والاختصار ، لأن الحركات فيها تدل على كثير من المعاني نحو الرفع الدال على الفاعلية ، والنصب الدال على المفعولية . وضم التاء في نحو قلت الدال على المتكلم ، والفتح الدال على المخاطب المذكر نحو ذهبت ، والكسر الدال على المفردة المخاطبة نحو حضرت . وكذا التقديم والتأخير ، نحو إياك نعبد ، فإن التقديم هنا دال على اختصاص المخاطب وهو الله بالعبادة ، وبعض الحروف ، كلام التوكيد ولام القسم ، لأنه يستغنى بها عن ألفاظ آخر ، فلام التأكيـد تغنى عن أوكد ، ولام القسم تغنى عن أقسم ، فلذلك كانت الملكة العربية أدق الملكات وأصعبها على غير أهلها ولزيادة الإيضاح نقول :

يستدل على المحكوم عليه في اللغة العربية بأحد أسلوبين : الأول تقدم المحكوم عليه ، ويسمى مبتدأ ومسنداً إليه ، نحو قولك محمد عالم ، فقد حكمت له بالعلم ، أو أسندت إليه ؛ والأول أسلوب الثاني تأخير المحكوم عليه وهو المسند إليه ، وتقديم المحكوم به أو المسند وهو الفعل وشبهه ، نحو قولك سافر محمد . ونحو أجتهد أخوك ؛ فقد حكمت على محمد بالسفر ، واستفهمت عن اجتهاد أخي المخاطب ، ولو وقف الأمر عند هذا الحد لم يحصل لبس ولا صعوبة في تمييز المحكوم عليه عن المحكوم به ، ولكن في الأسلوب الأول

قد يتقدم المحكوم به على المحكوم عليه لا غراض مرغوبة ، تجعل للكلام دقة وروعة ، كالاتهام به وانصباب القصيد عليه في نحو قوله تعالى : « أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم » فإن الاستفهام التعجبي واقع على ما بدا من إبراهيم من الرغبة والانصراف عن آلهتهم ، لا على ذات الفاعل .

ولو قيل : « أنت راغب عن آلهتى يا إبراهيم » ؟ لكان التعجب واقعاً على ذات الفاعل ، ولأفاد الكلام أنه لو كانت الرغبة من غيره لما تعجب منها ، ونحو قول الشاعر :

غافل أنت والليالى حبالى بصنوف الردى تروح وتغدو
فإن القصد منصب على غفلة المخاطب عن صروف الزمان ، لا على نفس المخاطب .

نعم لا يجوز تقديم الخبر على المبتدأ إذا خفيت الملاحظة وحمل اشتباه ، كأن يتساوى كل منهما في التعريف أو التنكير بدون مميز يميز الأول عن الثانى ، نحو قولك : أخى أخوك ، فيجب أن يكون الأول هو المحكوم عليه (أى المبتدأ) ويلزم تقديمه ، ولا يجوز تأخيره ، فهذا مثال المتساويين في التعريف ، ومثال المتساويين في التنكير قولك لآخر : أفضل منك أفضل هنى فيجب أن يكون المحكوم عليه (أى المسند إليه) هو الأول ، ولا يجوز تأخيره .

وفى الأسلوب الثانى ، قد يصحب الفاعل المفعول به ، فيحتاج القارىء قبل أن ينطق بهما إلى ملاحظة ، أن الأول هو الفاعل الذى وقع منه الفعل ، وأن الثانى هو الذى وقع عليه الفعل ، ثم يرفع الأول وينصب الثانى ، فإذا سها عن هذه الملاحظة وكان المفعول به مقدماً على الفاعل ، وقع فى الخطأ ، فرفع الأول وهو المفعول به ، ونصب الثانى وهو الفاعل ، ولا سيما إذا كان المفعول به ليس فى آخره ألف ولا فتحة تدلان على نصبه ، بأن كان ممنوعاً من

الصرف ، نحو أكرم عمر محمد ، أو مقصورا ، نحو أكرم موسى محمود ، فإذا أراد أن يسلم من الخطأ ، نظر أولا إلى الاسم الثاني وفهم المعنى من سياق الكلام ، ثم نصب الأول ورفع الثاني ، وخلص من هذه الورطة .

ولهذا نجد كثيرا من المبتدئين يقعون في مثل هذا الخطأ ، ولا يجديهم ما تعلموه من القواعد نفعاً ، في مثل هذه المواقف التي يزل فيها كثير من المتعلمين أيضاً .

نعم قد احتاط النحويون فمنعوا تقديم المفعول به على الفاعل إذا حصل اشتباه بينهما ، بأن كان الإعراب لا يظهر على كل منهما ، نحو أكرم موسى عيسى ، فأوجبوا أن يكون الأول هو الفاعل والثاني هو المفعول به ، ولا يصح أن يكون موسى مفعولا به مقدما ، للاهتمام به مثلاً ، لعدم ما يدل على ذلك في اللفظ .

سبب ضبط اللغات الأوروبية

سببه أن للدلالة على المحكوم به والمحكوم عليه — صيغة واحدة في اللغتين الإنكليزية والفرنسية مثلاً ، وذلك أن المحكوم عليه يتقدم دائماً على المحكوم به وهو الفعل ، ثم يليهما المفعول به ، فلا يحصل اشتباه ، فإذا أردت أن تعبر عن إكرام محمد لعلي قلت : محمد أكرم علياً ، لا تتعدى هذا الأسلوب أضف إلى ذلك أن الحركات فيها يستدل عليها بحروف في صلب الكلمة ؛ فلا يقع من القارئ أى اشتباه في النطق ، لاني وسط الكلمة ولا في آخرها ، ويقوم مقام الإعراب عندهم حروف تدل على الرفع والنصب والجر ؛ والتنوين يكتب نونا ، ولذلك كثرت حروف الكلمة عندهم ؛ حتى صارت ضعف حروف الكلمة العربية .

ولكن تعدد الأساليب في اللغة العربية لا يعد عيباً حقيقياً ، لأن فيها من

الأساليب ما في اللغات الأوربية وزيادة ؛ فإذا أراد المتكلم أن يأتي بأسلوب سهل المتناول ليس فيه اشتباه على السامع ، قدم المبتدأ ووسط الفعل ، وأتى بعدهما بالمفعول به ، كما في اللغات الأوربية ، فبدلاً من أن يقول رأى يوسف عمر سائراً أمام الحديقة . قال : يوسف رأى عمر الخ .

وقد تعددت أساليب اللغة العربية واعتراها التقديم والتأخير في مفرداتها تبعاً لأغراض شريفة ، صار كل بليغ بها حفيماً ، وهذا لا يعد دليلاً على ضعف تراكيبها ، وصعوبة تأليفها ، بل ينهض برهاناً على اتساع مواردها ، وسهولة التصرف فيها يشق الأساليب ، ليختار المتكلم أشدها وقعا في النفس ، وروعها عند التخاطب ، وأقربها لمقتضى الحال ، حتى تخلب اللب ، وتأسر القلب ، ولهذا السبب عجز فطاحل الكتاب الأوربيين وغيرهم عن ترجمة القرآن الكريم ، والإتيان بتركيب في لغاتهم ، لها من الروعة والإعجاز ما لتركيب القرآن ، وأناى لهم ذلك وقد أعجز بأسلوبه ومثانة تراكيبه أمراء البلاغة ، وفرسان الرهان من العرب الخلفاء ، الذين كانت تسجد لبلاغتهم الحياه ويستوقف بيانهم القلوب ويملاء الأسماع حلاوة ، وحسن طلاوة .

وبهذا سقط القول بأن صعوبة اللغة العربية ناشئة من أن الإنسان يفهم أولاً ليقرأ .

أما في اللغات الأوربية . فإن الإنسان يقرأ ليفهم ، فقلت علمت أن هذا خاص ببعض التراكيب ، وأن المتكلم له مندوحة عنها متى أنس من السامع أو القارئ المبتدئ اشتباها ، ففي الحديث الشريف : « أمرت أن أخطب الناس على قدر عقولهم » وقالت العرب « لكل مقام مقال » وللخرف من اللبس ترى العامة في الغالب يجعلون تراكيبهم مكونة من المبتدأ والخبر ، لا من الفعل والفاعل فيقولون « محمود حضر ، لا حضر محمود ، لأنهم يقفون

على المنصوب بالسكون على لغة ربيعة، فيشتبه المفعول بالفاعل إذا قالوا «كلم محمود محمد، مثلاً».

ولما كان التقديم والتأخير في المبتدأ والخبر عن موضعهما الطبيعي يوجب الاشتباه، ما لم يميز أحدهما عن الآخر - عدوه من الإخلال بفصاحة الكلام، واعتبروا الفصل بينهما بكثير من المتعلقات موجبا للتعقيد المعنوي وأكثر ما يكون ذلك في الشعر، لأن الوزن يحتم على الشاعر أن يقدم بعض المتعلقات وغيرها عن موضعها، ليستقيم له الوزن كقول الشاعر:

الناس للناس من بدو وحاضرة بعض لبعض وإن لم يشعروا خدماً
فإن نظم البيت - لكثرة التقديم والتأخير يوهم أن خبر الناس (هو الجار والمجرور) في قوله للناس، كما يقال الناس بالناس، أو أن الخبر هو جملة (بعضهم لبعض). والحقيقة أن (خدم) خبر بعض والجملة خبر الناس، والرابط محذوف، والتقدير بعضهم لبعض، والجار والمجرور في قوله للناس متعلق بمحذوف حال من الناس، أي الناس حالة كونهم مجاورين للناس، ومن بدو وحاضرة بيان للناس، ويصح أن يكون (بعض) بدلاً من الناس بدل بعض من كل، (وخدم) خبر الناس، والرابط محذوف، أي بعضهم وبعض متعلق بخدم فلو أراد الشاعر أن يؤدي هذا المعنى في ثبوت لقال: الناس للناس من بدو وحاضرة بعضهم خدم لبعض وإن لم يشعروا، ومثله قول الفرزدق (١)

وكل رفيق كل رحل وإن هما تعاظى القنا قوماهما أخوان
فإن نظم البيت يوهم لكثرة التقديم والتأخير - أن خبر كل الأولى هو جملة (قوماهما أخوان) والحقيقة أن خبره أخوان، و (قوماهما) فاعل تعاظى و (القنا) مفعول مقدم.

(١) هذا البيت من قصيدة يخاطب بها ذئبا عشا إلى ضوء ناره فأطعمه من طعامه ومنها

تمشي فإن عامدني لا يخوتي فيكون كن ياذب بصطحيان

والمانع من إرادة المعنى الأول ، وجعل الخبر جملة (قوماهما أخوان) -
 أمران : أحدهما معنوي ، وهو أن المقصود كون الرفيقين أخوين لا قومهما
 فقد يكون القومان آخرين ، وبعض أفرادهما أعداء ، فالمعنى عكس هذا ، وهو
 أن رفيق الرجل أخوان ، وإن كان قوماهما متحاربين ؛ والآخر لفظي وهو
 أنه لو أراد المعنى الأول لثنى الفعل (تعاطى) وقال : وإن هما تعاطيا القنا ،
 لأنه عائد على مثنى وهو (هما) فيجب إلحاق علامة التثنية به ، أما إذا كان
 قوماهما قاعلا ، تجرد الفعل من علامة التثنية ، تبعا للقاعدة المقررة من أن الفعل
 إذا أسند لاسم ظاهر مثنى أو جمع - جرد من علامة التثنية والجمع .
 ولو أنه كان في حل من وضع الألفاظ موضعها في نثر لقال : وكل رفيق
 كل رحل أخوان وإن تعاطى قوماهما القنا .

المبحث الرابع

(في ضبط اللغة بطريق التلقين وكثرة المطالعة لا بكثرة القواعد)
 إذا أردنا أن نرجع باللغة العربية إلى نشأتها الأولى وعهد الغابر ، من
 سهولة النطق بها وصحة ضبطها ، فعلينا أن نتبع ما كان يربب به العرب
 أبناءهم ، وما كانوا يفعلونه في تلقينهم اللغة ، وتغذيتهم بها مع ألبان أمهاتهم قبل
 أن يغادروا المهد ، وما كانت المرأة ترقص به طفلها وهو لم يفارق بعد حجرها
 كقول امرأة من العرب وهي ترقص ابنها

أنت تكون (١) ماجد نبيل إذا تهب شمال بليل
 فن لنا بأمهات يناغين أطفالهن بالعربية الفصحى قبل أن يدرجوا من
 عشهم ، حتى تختلط بلحمهم ودمهم ، وتجري منهم مجرى النفس في الحناجر ،
 فلا تتحرك شفاههم إلا بها ، ولا تنطق ألسنتهم إلا بالإعراب عنها ، ومن لنا
 بآباء فصحاء أمناء على تلقين أبناءهم صحيح اللغة منذ نعومة أظفارهم ، حتى يشبوا

(١) تكون زائدة

خطباء مفوهين يهزون أعراد المنابر ، ويقودون الأمة ببلاغتهم إلى أسنى المفاخر ويكون منهم الشعراء المفلقون ، والمحامون المداره ، والمربون المهدبون الذين يسمون بلغتهم إلى سالف مجدها ، وغابر عزها ، ولا يتوهمن متوهم أن هذا عسير متى تضافرت عليه الأمة وشدت إليه عزائمها .

وأصدق مثل على أن هذا في حيز الإمكان ما سمعته من قاضى قضاة مصر (١) فقد رأيت أنه ينطق العربية الفصحى بدون تكلف . وسمعت ابنه وهو غلام لا يتجاوز الثانية عشرة ينطق بالفصحى بجمية ، (إنه لم يلقن غيرها ، ولم يختلط بأحد يتكلم العامية حتى يفسد عليه لغته ، فقد قال لى والده : إنه لم يرسله إلى أية مدرسة ، بل أحضر له المعلمين من كل صنف ، ولا ينطق والده أمامه إلا باللغة العربية الفصحى أو التركية ، ولا والدته إلا بالتركية . فلذا نشأ في بيئة سليمة من لهجات العامة .

وهاك مثلاً آخر ، وهو أنى التقيت بجماعة من الأتراك المجاورين بالأزهر ، في نزهة عند قصر النيل ؛ فرأيتهم يتكلمون باللغة العربية الفصحى ، فجارتهم في الكلام بها معهم ، ولم ألاحظ عليهم اللحن أو التحريف إلا في القليل النادر . وهاك مثلاً ثالثاً وهو أنى اجتمعت ببعض الوافدين على الأمير سعود ولي عهد المملكة السعودية ، أيام كان ضيفاً على الحكومة المصرية ، وكنت ألقيت قصيدة أمامه ترحيباً بقدومه ، فلما ألقىتهم في مسجد السيدة زينب بعد صلاة الجمعة جالسين بجوارى ، عرفوني فكلّموني بلسان عربى فصيح ، دل على أنهم أخذوا اللغة الصحيحة تلقيناً ، ولم يتلقوا شيئاً من قواعد النحو أو الصرف ، لأنهم من تجار البدو ، فما علينا إلا أن نحذو حذوهم ، ونلقن أبناءنا اللغة الفصحى ونجنبهم العامية ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً ، وإذا تندر هذا على عامة الشعب ؛ فليكن منا طائفة من الأدباء والمعلمين ، يروضون أبناءهم على اللغة الفصحى من مبدأ نشأتهم .

محمد على الدسوقي

(١) هو القاضى يحيى آخر قضاة الدولة العثمانية في مصر .